نخ الأثم

وكم رمت أمرًا خرت لي في انصرافه ۰ فلا زلت بي مني أبر وأرحما
عزمت على أن لا أحس بخاطر ۰ على القلب إلا كنت أنت المقدما
وأن لا تراني عند ما قد نهيتني ۰ لكونك في قلبي كبيرًا معظما
وحُكي أن بعضهم كان إذا أصيب بشيء أو ابتلي به
يقول خيرة فاتفق ليلة أن جاء ذيب فأكل ديكا له فقيل
له ذلك فقال خيرة ثم ضرب في تلك الليلة كلبة فقيل له فقال
خيرة ثم نعق حماره فمات فقال خيرة فضاق أهله بكلامه
هذا ذرعا فاتفق أن نزل بهم في تلك الليلة عرب أغاروا
عليهم فقتلوا كل من بالحلة ولم يسلم غيره وأهل بيته
لاستدلال العرب النازلين على الحلة بصياح الديكة
ونباح الكلاب ونهيق الحمير وهو قد كان مات ديكه
وحماره وكلبه فكان هلاكهم سببا للنجاة فسبحان المدبر الحكيم
وأعلم أن العبد لا يشهد حسن تدبير الله إلا إذا
انكشف له العواقب وليس هذا من مقام أهل الخصوص
في شيء لأن أهل الفهم عن الله شهدوا حسن تدبير الله
قبل أن تنكشف العواقب لهم وهم في ذلك على أقسام
ومراتب فمنهم من حسن ظنه بالله فاستسلم له لما
عوده من جميل صنعه ووجود لطفه ومنهم من حسن
ظنه بالله علما منه أن الاهتمام والتدبير والمنازعة
لا تدفع عنه ما قدر عليه ولا تجلب له ما لم يقسم له ومنهم
من حسن ظنه بالله علما منه بقوله عليه السلام
حاكيا عن ربه أنا عند ظن عبدي بي فكان متعاطيا بحسن
الظن بالله وأسبابه راجيا أن يعامل بمثل ذلك فيكون
الله له عند ظنه ولقد يسر الله تعالى للمؤمنين

سبل

سبل المنن إذ كان عند ظنونهم يريد الله بكم اليسر ولا يريد
بكم العسر وأرفع من هذه المراتب كلها الاستسلام
إلى الله والتفويض له لما يستحقه الحق من ذلك لا لأمر
يعود على العبد فإن المراتب الأول لم تخرج عن رق
العلل إذ من استسلم لله بحسن عوائده فاستسلامه
معلول بعوائد اللطف السابقة فلو لم تكن تلك العوائد
لم يكن استسلامه والثاني أيضا كذلك لأن ترك
التدبير مع الله لا يجدي شيئا ليس هو تركا لأجل الله
لأن هذا العبد لو علم أن تدبيره يجدي شيئا فلعله كان
غير تارك للتدبير وأما الذي استسلم إلى الله وحسن ظنه
به ليكون له عند ظنه فهو إنما سعى في حظ نفسه مشفقا
عليها أن يفوتها الفضل بعد وله من الاستسلام وحسن
الظن بالله ومن استسلم إلى الله وأحسن ظنه به لما هو
عليه من عظمة الإلهية ونعوت الربوبية فهذا هو
هذا أمن خ ٢ العبد الذي دل على حقيقة الأمر وحري أن يكون من الذين
قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال إن لله
عبادا التسبيحة الواحدة من أحدهم مثل جبل أحد
ولقد عاهد الله سبحانه العباد أجمع على إسقاط التدبير
معه بقوله وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم
وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى كان إقرارهم
بأنه ربهم يستلزم ذلك إسقاط التدبير معه فهذه معاقدة
كانت قبل أن تكون النفس التي هي محل الاضطراب المدبرة
مع الله ولو بقي العبد على تلك الحالة الأولى التي هي كشف

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)